ألوان الأحجار الكريمة عند العرب

أ.د. عماد عبدالسلام رؤوف

للإهتمام بظاهرة الألوان في الحضارات الإنسانية عامة ، جوانب متعددة ، فهي تتصل ، من ناحية ، بالجانب الفني إذ تدل على رهافة حس الناس وعلو أذواقهم ، وقابليتهم على تمييز الألوان في الطبيعة وتحديدها تحديدا دقيقا . كما انها تتصل بالجانب العلمي إذ تحاول إستحضار تلك الألوان ، أو ما يشابهها ، بالوسائل الكيمياوية وغيرها .ومن ناحية أخرى فإنها غير بعيدة عن الجانب الصناعي أو التقني حين تعني بالإستفادة من تلك المستحضرات في صبغ وتلوين الأشياء في بيئتهم بما يجعلها أكثر جمالا ورونقا[1] .ولقد حفلت المعاجم العربية وكتب اللغة بعدد غير قليل من أسماء الألوان التي شاع إستخدامها في عهد إزدهار الحضارة العربية الإسلامية للدلالة على ما كانت تحفل به بيئتهم من مجلوبات ومصنوعات ومظاهر فائقة . إلا ان دقة اللغويين تبقى قاصرة عن دقة أهل الصناعة والفن في توصيف أشياء عديدة هي أدخل في نطاق إهتمام الأخيرين ، وفئات من أهل المدن خاصة عُرفت بمستواها الإجتماعي والثقافي المتميز عهدذاك .ومن هنا وجدنا في دراسة الأحجار الكريمة مصدرا خصبا لأسماء الألوان عند العرب . فهذه الأحجار ـ خلافا لسائر المواد الأخرى مما تحفل به البيئة عادة ـ تتميز بتعدد فائق في ألوانها ، و تدرج في درجة إشباع اللون منها ، بل وتنوع الألوان في الحجر الواحد بحسب طبيعة الشوائب المعدنية فيه . وربما أصاب هذه الألوان تغيرا بحسب نوع ما تستقبله من إضاءة طبيعية أو صناعية قوية أو ضعيفة . وقد تنشأ ضروب من الألوان المختلفة مع واقع إقتراب لونين أو أكثر في الحجرأو إمتزاجهما ، أو يصيبها التغيير بسبب تعرضها إلى عوامل مختلفة ، كإزدياد في الحرارة ، أو في الرطوبة ، أو عند حكها أو جليها .

وإذا ما علمنا ان الألوان بدرجاتها ، ونقاوتها ، وإشراقها ، وبريقها ، كانت تتخذ دليلارئيسا ، في أغلب الأحوال ، على صنف الحجر ونفاسته ، ومن ثم إرتفاع ثمنه أو خسته . فإن الإشتغال بالأحجار كان يلزم أهل هذا الفن ، من جماعين وصقالين ، وعلماء ، ومثمنين ،وتجار ، إيجاد أسماء دقيقة للدلالة على كل واحد من تلك الألوان ، وفي حالة من حالاته ، لأن أي خطأ في هذا الأمر يؤدي حتما إلى إلتباس في تصنيف الحجر ، وتعيين جودته ، ومن ثم قد يُقدر بغير ثمنه الحقيقي .

وقد عني الجوهريون العرب في العصور الإسلامية بتحديد هذه الألوان وتوصيفها عناية فائقة، وميزوا بينها ببراعة ملحوظة ، وأعطوا لكل لون إسما يُستدل به عليه ، مهما كانت درجة إختلافه عن الألوان المقاربة جزئيا ،فأكد ذلك ،من ناحية أخرى ،قدرتهم على إشتقاق الإسم ، ومكنتهم من حُسن إختيار اللفظ ، ودقته في التعبير عن طبيعة اللون نفسه ، وتعيين حدوده ، بل ان كثيرا من أسماء الأحجار أُخذت من أسماء

ألوانها ، فهذه الألوان هي صفاتها الظاهرة والمحسوسة في عصر كان يفتقر إلى الوسائل العلمية لدراسة تركيبها وصفاتها الأخرى . وقد صرح البيروني ، بعد ذكر طائفة من ضروب الحجر المعروف بالختوة ، بأن أسماءها ما هي إلا " صفات تتعلق بالألوان والنقوش"[٢] .

وبلغ من دقة الجوهريين العرب في هذا المجال انهم أدركوا العلاقة بين ألوان الحجر وبين خواص الحجر الكيماوية ، فوضعوا بذلك أول أسس التقسيم المعدني للأحجار . وان المرء ليعجب كيف إستطاع التيفاشي ، مثلا ، بإمكانياته الضئيلة أن يُقّسم كل نوع من أنواع الياقوت الأربعة تقسيما دقيقا وفقا لدرجة لونه ونوعه ، فالياقوت الأحمر Ruby له أربع درجات لونية ، والأصفر Yallow Sapphire (Topas) له ست ، والاسمانجوني Sapphire له خمس ، والأبيض White Sapphire له إثنان[٣] ، مع انه لافرق بين درجة وأخرى إلا بمقدار بالغ القلة ، ولا يتأتى تمييزه إلا بكثرة الملاحظة وطول التأمل . كما انهم أدركوا الصلة بين ما ينبعث من الحجر من ألوان وبين خصائصه الفيزيائية الأخرى ، حين لاحظوا ان الماس الجيد " قد يكون فيه ما يلقي شعاعه على هيئة قوس قزح على الحيطان "[٤] .وفي هذا إشارة مبكرة إلى معامل الإنكسار العالي للحجر ، بحيث ان الألوان التي تشع منه ليست إلا نتيجة لتحلل الضوء لألوان الطيف السبعة المعروفة وإنعكاسه خارجا منها . ومثل هذا ما لاحظوه في وجود ظلال مختلفة من اللون نفسه في كل من الياقوت الأحمر والاسمانجوني ، حيث يبدو انه أكثر دكنة من سائر أنواع الياقوت الأخرى ، وهي إشارة عامة إلى ما يعرف حاليا بخاصية الإنكسار المزدوج للأشعة الضوئية عند مرورها في البلورات الشفافية للمعادن التي لا تتبلور في غير نظام المكعب ، والتي عرفها العرب " بخاصية الشعاع "[٥] . ولعل هذا ما حدا بالكندي إلى القول ، وهو يتأمل سر ألوان الأحجار " انها تتراءى فيه الحركات (مما) يدل على انها ليست فيه ذاتية وإنما هي مخايل"[٦] .ولم يكن سهلا إيجاد أسماء لكل هذه الألوان إلا بإشتقاقها من أسماء كل ما يشابهها من ألوان الكائنات الحية والمادية والظواهر المختلفة على حد سواء ، وذلك على النحو الآتي :

أ ـ ألوان إشتقت أسماؤها من ألوان النبات

ثمة ضروب عديدة من الألوان إشتقت أسماؤها من زهور وثمار وحشائش وغيرها من أجزاء النبات ، كالسلقي والريحاني والفستقي والرماني والارجواني والبنفسجي والجلناري والوردي والرطبي والتمري والمشمشي والأترجي والنارنجي والتبني والنيلي والدبسي والخلوقي .

ب ـ ألوان إشتقت أسماؤها من أسماء الحيوان ومنتجاته

ومن هذه الألوان ، اللحمي والعاجي والذبابي والعسلي والطاووسي واللبني والدموي .

ج ـ ألوان إشتقت أسماؤها من أسماء المواد غير العضوية

ومنها الألوان ، الذهبي والرصاصي والرمادي والنفطي واللازوردي والفضي والحديدي .

د ـ ألوان إشتقت أسماؤها من مظاهر شتى

ومنها الألوان ، الأكهب والظلماني والسماوي وغير ذلك .

ومن الناحية النظرية البحتة ، صنف العرب هذه الألوان ، على تنوعها ، إلى أربعة ألوان رئيسة هي الأحمر والأصفر والأزرق والأخضر(هذا مع ان الأخير ليس لونا أصيلا ، إذ يمكن إستخراجه من مزج الأزرق بالأصفر) ، إضافة إلى الأسود والأبيض ، وهما ليسا لونين بالمعنى المفهوم ، فإن الأسود هو تراكم أي لون ، بينما لايُعد الأبيض إلا إنعدام اللون نفسه . وبإستثناء الأخيرين ، فإن الألوان الأربعة تشير إلى نظرية العناصر الأربعة : النار والهواء والماء والتراب، وهي نظرية قديمة تُنسب إلى الإغريق في القرن الخامس ق.م. ، و وجدت إنتشارا واسعا في العصور الإسلامية[٧] . ولقد عرفت هذه الألوان بألوان الأركان[٨] . وبموجب نظرية الإختلاط ، المُوسسة على نظرية الأخلاط الأربعة فقد أصبح لكل خلط لون ، فقالوا انها موافقة لألوان الأركان .ومع تصورهم بأن لكل كوكب لونا مميزا به ، وانه ثمة سبعة ألوان على عدد الكواكب السبعة السيارة ، إلا ان هذه الألوان ، عند تدقيقها ، لاتزيد على الأربعة نفسها ، إضافة إلى الأسود والأبيض ، فزحل له السواد الحالك وما مزج لون صفرة ، واللون الرصاصي والظلام والكدرة ، والمشتري له الغبرة والبياض المشوب بصفرة وسمرة والضياء والبريق ، والمريخ له الحمرة ، والشمس لها الضياء والخضرة ، والزهرة لها البياض ، وقيل لها الخضرة ، وعطارد له ما تركب من لونين ، وأما القمر فله الزرقة والبياض الذي لم يخلص من الحمرة وصفرة أو كدرة أو كمودة[٩] . فهذه الألوان جميعا ، لاتزيد على أن تكون ألوان الأركان الأربعة نفسها. وبموجب القاعدة المذكورة ،و يمكن تصنيف هذه الألوان إلى ما يأتي :

أولا: الأحمر

تتألف مجموعته من نحو ثماني عشر لونا مستقلا ، تختلف عن بعضها بإختلافات جزئية ، وقد فاز الياقوت الأحمر والعقيق بأكثر هذه الأسماء بسبب غلبة الحمرة عليها وهي :

١ـ الرماني

لون يُرى في أنفس أنواع الياقوت . وقد ذهب بعض الجوهريين إلى القول بأنه أعلى درجات الأحمر ، بينما عد آخرون البهرماني(وسيأتي) أعلاها[١٠] . و وصفوا الرماني بأنه بلون "حبة الرمان الشفاف اللين الطري الخلي عن الميل إلى الكمودة أو السواد أو الصفرة أو الشقرة"[١١] ، وانه " يشبه بحب الرمان الغض "[١٢] .

٢ـ البهرماني

وهو قريب من الرماني بالدرجة ، حيث قيل في الرماني والبهرماني انهما صفتان لموصوف واحد ، إلا ان الأول برسم أهل العراق ، والآخر برسم أهل الجبل وخراسان[١٣] . وكان الكندي قد ذهب إلى هذا الرأي حين عد البهرماني أعلى ألوان

الأحمر ، ولم يذكر الرماني أصلا ، بل ذكر من صفة البهرماني انه رماني اللون[١٤] . وذهبت جمهرة من المؤلفين إلى ان البهرماني هو إسم للعصفر[١٥] ، والأخير نبات سلافته الجريال ، يصبغ به الملابس عادة . وقيل انه ثمر شجرة تدعى الخريع ، وله أسماء عدة ، وهو المسمى باللاتينية Corthamus Ticnterius[١٦] ، إلا ان الخليل بن أحمد يذكر ان البهرمان ضرب منه[١٧] . ومن هنا ميز الجوهريون بين ما هو عصفري وما هم بهرماني ، فقال البيروني : فإن كان كما قال فهو أجود ضروب حتى يوصف الياقوت به . وعلى الرغم من صعوبة التمييز بين اللونين ، فإن الكندي ينوه بلون ثالث يتوسطهما هو البهرمان العصفري مما دل على دقة بالغة في التمييز بين هذه الألوان المتقاربة المشتقة من اللون الواحد .

ويلاحظ ان الجوهريين لايشيرون ، في حديثهم عن ألوان الحجارة الكريمة ، إلى اللون القرمزي(نسبة إلى حيوان القرمز) مع ان هذا اللون كان شائع الإستعمال تماما ، وربما يرجع السبب إلى ان من خصائصه انه لم يكن يصبغ إلا ما كان من حيوان كالحرير والصوف[١٨] .

ومن الراجح انه كان يقابل عندهم اللون الرماني والبهرماني ، يدل على ذلك قول البيروني : انه قيل في إعتبار لون رمانية بالمثال ان يقطر على صفيحة فضة خالصة مجلوة فيحصل عليها لون الياقوت الرماني[١٩] ، وعلى هذا يكون اللونان الرماني والبهرماني ، عند الجوهريين ، مقابلي لما يعرف بالإنكليزية Crimson المأخوذة من(قرمزي) بالعربية .

٣- الارجواني

يُنسب هذا اللون إلى الارجوان ، معرب(ارغوان) الفارسية ، وهو نبات أحمر اللون تضرب حمرته إلى الخمرية . وذكر إبن دريد انه أشد الحمرة ، ويقال له القرمز ، وانه لما بولغ في نعت حمرة الثوب قيل ثوب ارجواني وثوب بهرماني ،فهذه الأسماء مترادفة عند اللغويين ، لكنها مختلفة عند الجوهريين الذين دققوا في صفاتها ولاحظوا الفروق الضئيلة بين مسمياتها . فعد البيروني الارجواني الشديد الحمرة فإن كان دونه فهو بهرماني[٢٠] ، بينما عد إبن الأكفاني الأمر بخلاف ذلك[٢١] .

٤- الجمري

لون أطلق الجوهريون إسمه على ضروب من الحجارة الكريمة ، وقد سمي بذلك تشبيها له بالجمر المتقد[٢٢] . وهو قريب من اللون الارجواني لقول إبن الأكفاني " ومنهم من يسمي الارجواني الجمري "[٢٣] . وكان القديس ابيفانيوس قد نوه بحجر سماه " الحجر الذي على لون الجمر"[٢٤] . ورجح البيروني ان يكون إسم هذا اللون قد تصفحت في كتاب الكندي في الأحجار الكريمة إلى (الخبرب) بالخاء المعجمة تليها ياء مثناة . وكان الكندي قد عد الخيري فوق الوردي" لفضل حمرته على الوردي وزيادة الفرفيرية(صبغة نبات النيلة الأزرق) فيه ، وهي كالبنفسجية تأخذ من الوردية إلى ان تبلغ مشابه وردة الخيري"[٢٥] وهذه الوردة معروفة تماما ،مختلفة اللون بين أبيض وفرفيري وأصفر[٢٦] وإسمها باللاتينية Cheranthus Cheiri[٢٧] ، فلا وجه

للقول بحدوث التصحيف ، ويذكر إبن الأكفاني ان بعضهم صحف الجمري إلى(الخيري) و قال" البنفسجي"[٢٨] ، ومثل هذا التصحيف غير مستبعد للتشابه الشديد بين المسميين .

٥ـ البنفسجي

لون يرى في بعض ضروب الياقوت غالبا . وحدده البيروني بأنه يتوسط بين الارجواني واللحمي(سيأتي) فقال ان من الجوهريين من تورط بين الارجواني واللحمي لونا بنفسجيا ، ولكنه إستدرك بأن أكثرهم بين ذلك الارجواني وبين ذلك البنفسجي[٢٩] ، مما دل على قلة الفرق بين هذه الألوان وإحتياجه إلى مزيد من الخبرة ورهافة الحس . ووصفه جوهريون متأخرون بأنه " تشوبه كهبة تخرجه عن خالص الحمرة " ، والكهبة هنا الزرقة ، وعدوه دون اللحمي حمرة[٣٠] ، بل ذهب إبن الشماع الحلبي إلى القول بأن البنفسجي هو الأكهب[٣١] .وبذلك أخرجه من نطاق الحمرة أصلا ، ولعل في ذلك مبالغة ، لأننا وجدنا في مواضع أخرى يعد الأكهب أزرقا مطلقا كما في سائر كتب الجوهريين . وعلى أية حال فقد إشتقوا إسم هذا اللون من زهرة البنفسج Viola ويقابل بالإنكليزية والفرنسية Violet .

٦ـ الجلناري

منسوب إلى زهرة الرمان(جُلنار)وهو لون أكثرما يرى في الياقوت . وذكر البيروني انه يتوسط اللحمي والوردي[٣٢] ، ولاحظ التيفاشي انه أشد صفرة من الخلوقي(سيأتي) ولذا جعله أدنى درجة في الحمرة هذا اللون . وإتفق إبن الأكفاني وإبن الشماع على انه " تشوبه بعض صفرة"[٣٣] ويقابله بالفرنسية Balauste .

٧ـ الوردي

عده الجوهريون العرب أدنى درجات الأحمر[٣٤] ، وسماه نصر الجوهري " الوردي المشمع الذي على لون الورد الأحمر الصافي المضيء "[٣٥]، ومن المحتمل إذن أن تكون (المشمع) تصحيف (المشبع) ، إلا إذا اريد أن تكون حمرته مشوبة ببياض الشمع ، فإن إبن الأكفاني وإبن الشماع يذكران انه " يشوبه بياض وهو أنول طبقات الأحمر " [٣٦] وهذا المعنى ما نقله البيهقي[٣٧] .

٨ـ الخلوقي

قال نصر الحوهري : ان الخلوقي أشبع لونا من الأصفرويأتي دون الجلناري[٣٨] . وعده التيفاشي من ضروب الأصفر وقال انه " أشبع صفرة من الرقيق " ، والرقيق هو قليل الصفرة[٣٩] ، والخلوق طيب يُتخذ من الزعفران ، وتغلب عليه الحمرة والصفرة ، فهو في النهاية القصوى للأحمر وأدنى مرتبة بين الأحمر والأصفر[٤٠]، ويقابل باللاتينية Crecus و بالفرنسية
Safran المأخوذة أصلا من (زعفران) العربية الذي هو أصل الخلوق ومادته[٤١] .

٩ـ التمري

لون يرى في العقيق خاصة ، ذكره إبن الشماع ولم يوضح حدوده[٤٢] .

١٠ـ الرطبي

ذكر البيروني انه لون يرى في العقيق[٤٣] ولم ينوه بدرجته بين ضروب الأحمر . وصرح المغربي بأنه يقع بين العصفري واللحمي[٤٤] أي انه يتراوح بين الأحمر القاني والأحمر الباهت ، وليس ثمة تحديد له غير هذا ، بيد ان البيهقي يصرح بأن من الياقوت نوعا " أحمر أقوى الحمرة يسمى الرطبي "[٤٥] .

١١ـ الدبسي

لون منسوب إلى دبس التمر، ونستطيع أن نتصوره داكنا بلون ما نسب إليه ، وقد ذكره المغربي عند وصفه لبعض ألوان العقيق[٤٦] .

١٢ ـ الدموي

إنفرد بالإشارة إلى هذا اللون المغربي[٤٧] ويظهر من إسمه انه مشابه للون الدم وإليه نسب . وفي هذه الحالة يكون قريبا من اللون الرماني الذي يذكر البيروني انه بلون الدم المعتدل المحمود في العروق[٤٨] .

١٣ ـ الكبدي

نوه بهذا اللون إبن الشماع ، وعده مما يرى من ألوان العقيق[٤٩] ، ومن الواضح انه أشد دكنة من الدموي .

١٤ ـ الزنجفري

لون يرى في بعض ألوان المرجان[٥٠] ، ينسب إلى الزنجفر وهو معدن قيل انه يوجد في معادن الذهب والنحاس ، وأكثره مصنوع بتصعيد الزئبق مع الكبريت . قال داود الانطاكي " وأجوده الأحمر الرزين الرماني "[٥١] ، وهو بالإنكليزية Cinnabarوبالفرنسية Cinabre .

١٥ ـ الفرفيري

لون يرى في بعض ألوان المرجان أيضا . ذكره البيروني بما يفهم منه انه البنفسجي ، أو شيء يشبهه[٥٢] . وقال إبن الشماع انه الفرفيري نسبة إلى زهرة الفرفير ، وهو شديد الحمرة[٥٣]وعند إبن البيطار ان الفرفير هي البقلة الحمقاء ، وصمغ أحمر يسمى باليونانية الديقون، بمعنى الهندي[٥٤]. والأخير يوافق وصف إبن الشماع من الحمرة . ويذكر محققا (أزهار الأفكار) ان الفرفيرية Purple of Tyre صبغة صنعت لأول مرة في جزيرة كريت ، وهي عبارة عن مشتق ثنائي للأنديجوIndigo (نبات النيلة الأزرق)[٥٥] .

١٦ ـ العنابي

لون يرى في حجر اللعل البدخشي الأحمر. ذكره البيهقي[٥٦] وهو منسوب إلى ثمرة شجرة العناب Zysuphus Jujuba .

١٧ ـ الفلفلي

لون يرى في حجر الختوه نوه به البيروني ولم يحدده[٥٧] .

١٨ ـ السماقي

لون يرى في بعض ضروب الياقوت . ذكر البيهقي انه يلي اللحمي درجة[٥٨] . وهو منسوب إلى ثمرة نبات السماق المعروف بسماق الدباغين Rhus Coriaria و"لونه إلى حمرة الدم"[٥٩] .

ثانيا : الأصفر

نوه الجوهريون العرب بنحو ستة ألوان مشتقة من هذا اللون . وهي تبتدىء بما يقترب من أدنى ضروب الأحمر وتنتهي إلى أدنى ضروب الأخضر ، وذلك على النحو الآتي:

١ـ المشمشي

ذكروا انه إسم يرى في بعض أنواع العقيق والختو[٦٠] والخرتوت[٦١] ، وانه يأتي بعد ضرب من اللون الأصفر المشبع المشبه بالجلنار[٦٢] .

٢ ـ الأترجي

إشتق إسم هذا اللون من إسم الأترج ، الفاكهة الحمضية المعروفة في العراق اليوم بالأطرنج ، وشبه بها بعض أنواع الياقوت ، وعده البيروني في مرتبة تلي اللون المشمشي ، أي انه أقل شبعا منه[٦٣] .

٣ـ النارنجي

إشتق إسم هذا اللون من إسم النارنج الفاكهة الحمضية المعروفة بهذا الإسم إلى اليوم . وشبه بها بعض أنواع الياقوت . ووصفه المغربي بأنه أزهر حمرة من الليموني ، ولكنه أدنى من الجلناري[٦٤] ويقابل بالإنكليزية والفرنسية Orange المأخوذة أصلا من العربية نارنج وإن إختصت بها ، فيما بعد ، الفاكهة المعروفة بالبرتقال .

٤ ـ الليموني

من الألوان التي ترى في أنواع الياقوت . وصفه المغربي بأنه أدنى من اللون الأصفر الذهبي وهو يتدنى حتى يصل إلى البياض الخالص[٦٥] ويقابل بالفرنسية Citron .

٥ـ التبني

يرى هذا اللون في بعض أحجار الياقوت ، وعده البيروني أدنى درجة من الأترجي ،قال " ولازال يتراجع بضعف اللون إلة أن يرجع ويقارب البياض "[٦٦] .

٦ ـ العسلي

لونه ينسب إلى العسل ، يرى في حجر الشادنج خاصة[٦٧] .

٧ ـ العقربي

لون يرى في أحجار اللعل البدخشي الأحمر والختو . سماه البيروني (المعقرب) وقال انه يضرب " من الصفرة إلى الحمرة "[٦٨] ومثله عند إبن الشماع[٦٩] ، ولكن البيهقي يذكر ان العقربي " الضارب من الصفرة إلى الخضرة "[٧٠] .

٨ ـ الكافوري

لون يرى في حجر الختو ، منسوب إلى الكافور ، وهو نبت طيب الريح تستخرج منه مادة عطرية بيضاء متبلورة . ويفهم مما أورده البيروني والبيهقي انه يتردد بين الصفرة والبياض[٧١]

٩ ـ الزيتي

هو أبيض تخالطه صفرة وعده إبن الشماع من ألوان الماس يتوسط بين الأبيض والأصفر[٧٢]

١٠ ـ اللبني

سماه البيروني (شيريام) وهي كلمة فارسية تعني لون اللبن[٧٣] وذكر إبن الشماع انه اللبني المعروف بشيرفام[٧٤] وهو مما يرى في حجر الفيروزج ولعله ما نسميه اليوم (حليبي) وهو الأبيض الذي تخالطه صفرة ضئيلة ويقابله بالفرنسية Laiteux .

ثالثا : الأخضر

ثمة خمسة ألوان تنتمي إلى الأخضر نوه بها الجوهريون العرب وهي :

١ـ الذباني

يرى هذا اللون في بعض أحجار الياقوت الأخضر ويحتمل انه التوباز Topaz الذي يعرف أيضا بالياقوت الأصفر وبه يعرف هذا الحجر ، وهو ينسب إلى لون يكون في الكبار من الذباب الربيعي الموجود عند الينابيع والبساتين والمواضع الندية ، ووصف الجوهريون العرب هذا اللون بأنه أخضر مغلوق اللون جدا ، لايشوب خضرته شبء آخرمن الألوان[٧٥] .

٢ـ الريحاني

يرى في الزمرد ، ذكره البيروني ولم يصفه[٧٦] ويصفه التيفاشي بأنه " كلون ورق الريحان ، مفتوح اللون "[٧٧] وذكر البيهقي[٧٨] والمغربي[٧٩] انه يلي الذباني في خضرته ، وإنفرد إبن الشماع بالقول انه " شبيه بورق الآس الرطب " [٨٠] .

٣ـ السلقي

من ألوان الزمرد ، ذكر البيروني انه منسوب إلى ورق السلق الطري ، فإنه يشبهها لونا[٨١]وقال المغربي " تضرب خضرته إلى السواد "[٨٢]

٤ـ الصابوني

من ألوان الزمرد ، وهو بلون الصابون وقد وصفه المغربي بأنه " أخضر تضرب خضرته إلى البياض "[٨٣] ، وعده مما يلي السلقي .

٥ـ الفستقي

عده البيروني من ألوان الكركند(من أشباه الياقوت) وجعله مرتبة بين الأصفر الليموني والزيتي[٨٤] .

رابعا : الأكهب

الكهبة لغة ، دهمة ولون الغبرة [٨٥] ، ولكنها عند المعنيين بالأحجار : الزرقة مطلقا فالبيروني يذكر جميع ألوان الماس إلا الأزرق ، ويذكر بدله الأكهب مما يدل على ان

الإسمين لمسمى واحد . كما تشير صفات ضروب الأكهب إلى انه الأزرق بعينه . وأكد إبن الأكفاني ذلك بقوله " الأزرق يسمى الأكهب "[٨٦] فهذا هو الإسم المختار لدى الجوهريين خاصة ،ويتشعب هذا اللون إلى الألوان الآتية :

١ـ الطاووسي

ذكر نصر الجوهري انه لون لأجود أنواع الماس[٨٧] ، وقال البيهقي وإبن الشماع ان من الدهنج نوعا طاووسيا" وهو يميل إلى السواد وحمرة ما مع بريق"[٨٨] ويفهم مما أورده المغربي انه شبيه باللون الاسمانجوني التالي لوجود حمرة تشوب زرقته[٨٩] .

٢ـ الاسمانجوني

كلمة فارسية مركبة من (اسمان) أي سماء وكون، بكاف فارسية ، أي لون ، فيكون معناها الحرفي : السمائي[٩٠] ، وقد نوه إبن ماسويه بهذا اللون بوصفه مما برى في بعض ضروب الياقوت وأشباهه[٩١] . ونقل البيروني عن نصر الجوهري ان الاسمانجوني لون من ألوان الأكهب يتوسط الطاووسي والنيلي ، وسماه في موضع آخر " الاسمانجوني الأزرق"[٩٢] . وعده إبن الأكفاني أدنى ألوان الأزرق[٩٣] إلا ان تطورا أصاب معنى هذا اللفظ لدى الجوهريين المتأخرين فلم يعد يعني (السمائي) وإنما إستعملوه للدلالة على ضرب من الأزرق " تشوب زرقته حمرته كما يكون في بعض رقاب الحمام الأزرق من التطويس وكما يكون في بعض ريش الطاووس"[٩٤] .

٣ـ السماوي

لون وصفت به بعض ضروب حجر اللازورد ، فحدد التيفاشي لون هذا الحجر بأنه ا لسماوي المستوي الصبغ إلى الكحلية[٩٥] . وذكر الغربي ان أجود اللازورد ما صفا لونه السماوي[٩٦].وقد فرق إبن الشماع بين الألوان : الاسمانجوني واللازوردي والسماوي[٩٧] .

٤ـ النيلي

لون إشتق إسمه من نبات النيلة الذي كانت تصبغ به الثياب[٩٨] وعده الجوهريون العرب مرتبة بين اللازوردي والكحلي[٩٩] .

٥ـ الكحلي

لون إشتق إسمه من كحل العين الذي هو غالبا من حجر الاثمد ، وذكر البيروني انه أشبع مراتب الأزرق[١٠٠] وصرح التيفاشي بأنه يسمى الزيتي أيضا[١٠١] وليس هذا ما تقدم عن الزيتي فذاك أبيض تخالطه صفرة وهذا يقرب إلى السواد كما في البيروني .

٦ـ النفطي

لون يرى في بعض ضروب الياقوت وهو يضرب إلى السواد[١٠٢] .

خامسا : الأبيض ـ الأسود

نوه الجوهريون العرب إلى عدة ألوان تتراوح بين اللونين الرئسيين : الأبيض والأسود وأعطوا لكل لون إسما بحسب مقدار أخذه من اللون الآخر وهي :

١ـ البلوري

هو الذي في لون البلور ، ووصفه التيفاشي بأنه " ابيض شديد البياض كالبلور "[١٠٣] وغالبا ما يرى في بعض ضروب الماس .

٢ـ الفضي

عده إبن الأكفاني من ألوان الماس ولم يزد[١٠٤] .

٣ـ الرمادي

ذكر البيهقي بوصفه مما يرى في بعض ضروب حجر اليشب[١٠٥] وهو الذي يقابل بالإنكليزية Gray وبالفرنسية Cendre .

٤ـ العاجي

نوه إبن الأكفاني بهذا اللون وذكر انه يرى في بعض ضروب اللؤلؤ[١٠٦] ، وهو يقابلIvorian

٥ـ الرصاصي

أشار إبن الأكفاني إلى هذا اللون بوصفه من ألوان اللؤلؤ[١٠٧] ،وهويقابل بالفرنسيةPlombe

٦ـ الحديدي

نوه إبن الأكفاني بهذا اللون وعده من ألوان الماس[١٠٨] .

وفضلا عن هذه الألوان إستعمل الجوهريون العرب مصطلحات دقيقة المعنى للدلالة على حالة اللون نفسه ، فقالوا : مفتوح اللون ، ومغلوق اللون ، ومشوب بكذا ، ومُشرب بكذا ، ومشبع ، وغير مشبع ، وفيه دهمة ، أو غبرة ، أو كمودة ، أو بريق ، وضارب لونه إلى كذا ، وانه أشد لونا أو أدنى ، أو أرق . إلى غير ذلك من الألفاظ التي تدل على بالغ حرصهم في وصف الألوان وتحديدها .

إن إشتقاق الجوهريين العرب لهذا الكم من الأسماء بما يوافق دقة ملاحظاتهم للالوان المختلفة ، لهو دليل واضح على الجهود العلمية الكبيرة التي بذلوها في هذا المجال العلمي ، كما انه يقف شاهدا على سعة اللغة العربية وقدرتها على مواكبة كل مناحي التقدم والإبداع .

الهوامش

(١)تناول الدكتور صالح أحمد العلي ظاهرة تلوين الملابس ووشيها في دراسته القيمة" ألوان الملابس العربية في العهود الإسلامية الأولى " ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م٢٦ ،س١٩٧٥ ،ص٧١ـ١٠٧. وكذلك م٢٧ ،س١٩٧٦ ،٦٢ـ١٠١ . وهب أول دراسة تناولت جانبا مهما من هذا الموضوع .

(٢)البيروني ، محمد بن أحمد ، الجماهر في معرفة الجواهر ، بعناية فريتس كرنكو ،(حيدراباد ـ الدكن ،١٣٥٥هـ) ، ص٢١٠ .

(٣)التيفاشي ، أحمد بن يوسف ، أزهار الأفكار في جوهر الأحجار ، تحقيق محمد يوسف حسن و محمود بسيوني خفاجي ، (القاهرة ، ١٩٧٧) ، ص٢٤٨ .

(٤)ماسويه ، يحيى ، الجواهر وصفاتها وفي أي بلد هي زصفة الغواصين والتجارة ، تحقيق عماد عبد السلام(القاهرة ، ١٩٧٧) ، ص٤٧ .

(٥)التيفاشي ، المصدر السابق ، ص٢٥٠ .
(٦)البيروني ، المصدر السابق ، ص٧٥ .
(٧)أنظر حول أصول هذه النظرية وأبعادها : روحي الخالدي ، الكيمياء عند العرب ،(القاهرة ، ١٩٥٣) ،ص١٤ و مصطفى لبيب ، الكيمياء عند العرب ، القاهرة ، ص١٩ .
(٨)الغلاني ، محمد الكشناوي ، الدرر المنظوم وخلاصة السر المكتوم في السحر والطلاسم والنجوم ،(القاهرة١٩٦١) ، ج١ ، ص١١٣ .
(٩)المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٣٠ .
(١٠)البيروني ، المصدر السابق ، ص٧٥ .
(١١)شيخ الربوة ، محمد بن أبي طالب ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، بإعتناء مهرن ،(بطرسبرغ ،١٨٦٦) ،ج١ ، ص٦١ . والمغربي ، أحمد بن عوض ، قطف الأزهار في خصائص المعادن والأحجارونتائج المعارف والأسرلر ، تحقيق بروين بدري ،(بغداد ، ١٩٨٠) ، ص١٨١ .
(١٢) البيهقي ، علاء بن الحسين ، معدن النوادر في معرفة الجواهر ، تحقيق محمد عيسى صالحية ،(الكويت١٩٨٥) ، ص٥٥ .
(١٣)البيروني ، المصدر السابق ، ص٣٤ .
(١٤)نقله البيروني ، ص٣٤ .
(١٥)الدينوري ، أبو حنيفة ، كتاب النبات ،(بيروت ، ١٩٧٤) ، ج٣ ، ص١٦٢ . إبن دريد ، الجمرة،(حيدراباد١٣٤٤هـ) ، ج٣ ، ص٣٣٩ . الأزهري ، تهذيب اللغة ،(القاهرة ،١٣٨٤هـ) ، ج٣ ، ص٣٣١ . إبن سيده ، المخصص ،(بولاق ، ١٣٢١) ، ج١١ ، ص٢٠١ .
(١٦)عيسى ، أحمد ، معجم أسماء النبات ،(بيروت ، ١٩٨١) ، ط٢ ، ص٤٠ .
(١٧)نقله البيروني ، ص٣٥ .
(١٨)إبن البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، (القاهرة ، ١٢٩١هـ) ، ج٤ ، ص١٤ .
(١٩)البيروني ، المصدر السابق ، ص٣٤ .
(٢٠)المصدر نفسه .
(٢١)إبن الأكفاني ، محمد بن إبراهيم ، نخب الذخائر في أحوال الجواهر ، تحقيق انستاس ماري الكرملي ،(القاهرة ، ١٩٢٩) ، ص٨ .
(٢٢)البيروني ، المصدر السابق ، ص٣٤ .
(٢٣)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص٦ .
(٢٤)القديس ابيغانيوس ، رسالة في الأحجار الكريمة ، تحقيق كوركيس عواد ، مجلة المجمع العلمي العراقي١٩٦٧ .
(٢٥)البيروني ، المصدر السابق ، ص٣٤ .
(٢٦)إبن البيطار ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٨٢ .
(٢٧)عيسى ، المصدر السابق ، ص٤٦ .
(٢٨)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص٦ .
(٢٩)البيروني ، المصدر السابق ، ص٣٥ .
(٣٠)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص٦ .
(٣١)إبن الشماع ، عمر بن أحمد الحلبي ، سر الأسرار في معرفة الأحجار ، تحقيق بروين بدري ، ص٩ .
(٣٢)البيروني ، المصدر السابق ، ص٣٥ .
(٣٣)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص٧ . إبن الشماع ، المصدر السابق ، ص٢٤ .
(٣٤)البيروني ، المصدر السابق ، ص٣٤ عن نصر الجوهري والكندي .
(٣٥)المصدر نفسه .

(٣٦)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص٧ . إبن الشماع ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .
(٣٧)البيهقي ، المصدر السابق ، ص٧٣ .
(٣٨)البيروني ، المصدر السابق ، ص٧٥ .
(٣٩)التيفاشي ، المصدر السابق ، ص٦٨ .
(٤٠)المصدر نفسه .
(٤١)دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، ترجمة محمد سليم النعيمي ،(بغداد ، ١٩٧٨) ، ج٤ ، ص١٨٥ .
(٤٢)إبن الشماع ، المصدر السابق ، الورقة ١٠٧ .
(٤٣)البيروني ، المصدر السابق ، ص١٧٣ .
(٤٤)المغربي ، المصدر السابق ، ص١٢٤ .
(٤٥)البيهقي ، المصدر السابق ، ص١٠١ .
(٤٦)المغربي ، المصدر السابق ، ص١٣٤ .
(٤٧)المصدر نفسه .
(٤٨)المصدر نفسه ، ص٣٥ .
(٤٩)إبن الشماع ، المصدر السابق ، ص١٠٧ .
(٥٠)المصدر نفسه .
(٥١)تذكرة اولي الألباب والجامع للعجب والعجاب .
(٥٢)البيروني ، المصدر السابق ، ص٣٤ .
(٥٣)إبن الشماع ، المصدر السابق ، ص١٢٤ .
(٥٤)إبن البيطار ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٦٣ .
(٥٥)التيفاشي ، المصدر السابق ، ص٦٧ (هامش) .
(٥٦)البيهقي ، المصدر السابق ، ص ١٠١ .
(٥٧)البيروني ، المصدر السابق ، ص٢٠٩ .
(٥٨)البيهقي ، المصدر السابق ، ص٨٠ .
(٥٩)إبن البيطار ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٩ .
(٦٠)البيروني ، المصدر السابق ، ص٢١٠ . التيفاشي ، المصدر السابق ، ص٨٠ . إبن الأكفاني ، المصدرالسابق ، ص٥١ .
(٦١)البيروني ، المصدر السابق ، ص١١٤ .
(٦٢)التيفاشي ، المصدر السابق ، ص٨٣ .
(٦٣)البيروني ، المصدر السابق ، ص٧٤ .
(٦٤)المغربي ، المصدر السابق ، ص١٨٢ .
(٦٥)المصدر نفسه .
(٦٦)البيروني ، المصدر السابق ، ص٧٤ .
(٦٧)المصدر نفسه ، ص٢١٧ .
(٦٨)المصدر نفسه ، ص ٢١٠ .
(٦٩)إبن الشماع ، المصدر السابق ، ص١٠١ .
(٧٠)البيهقي ، المصدر السابق ، ص ٨٥ .
(٧١)البيروني ، المصدر السابق ، ص٢١٠ .
(٧٢)إبن الشماع ، المصدر السابق ، ص٤٣ .
(٧٣)البيروني ، المصدر السابق ، ص١٧٠ .
(٧٤)إبن الشماع ، المصدر السابق ، ص٤٣ .

(٧٥)البيهقي ، المصدر السابق ، ص٨٠ . التيفاشي ، المصدر السابق ، ص٨٢ . إبن الأكفاني ، المصدرالسابق ، ص٥١ .
(٧٦)البيروني ، المصدر السابق ، ص١١٤ .
(٧٧)التيفاشي ، المصدر السابق ، ص٨٣ .
(٧٨)البيهقي ، المصدر السابق ، ص٨١ .
(٧٩)المغربي ، المصدر السابق ، ص١٨٢ .
(٨٠)إبن الشماع ، المصدر السابق ، ص٨٤ .
(٨١)البيروني ، المصدر السابق ، ص١١٤ .
(٨٢)المغربي ، المصدر السابق ، ص١٨٢ .
(٨٣)المصدر نفسه ، ص١١٤ .
(٨٤)البيروني ، المصدر السابق ، ص٧٦ .
(٨٥)لسان العرب وتاج العروس مادة (كهب) .
(٨٦)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص١٠ .
(٨٧)البيروني ، المصدر السابق ، ص٧٥ .
(٨٨)البيهقي ، المصدر السابق ، ص١٠٨ .
(٨٩)المغربي ، المصدر السابق ، ص١٨٢ .
(٩٠)التونجي ، محمد ، المعجم الذهبي ، فارسي ـ عربي ، (بيروت ، ١٩٨٠) ، ص٣٧ .
(٩١)إبن ماسويه ، المصدر السابق ، ص٤١ .
(٩٢)البيروني ، المصدر السابق ، ص٧٥ .
(٩٣)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص١٠ .
(٩٤)المغربي ، المصدر السابق ، ص١٨٢ .
(٩٥)التيفاشي ، المصدر السابق ، ص١٦٩ .
(٩٦)المغربي ، المصدر السابق ، ص١٥١ .
(٩٧)إبن الشماع ، المصدر السابق ، ص٢٥ .
(٩٨)إبن البيطار ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٨٦ .
(٩٩)البيروني ، المصدر السابق ، ص٧٥ .
(١٠٠)المصدر نفسه .
(١٠١)التيفاشي ، المصدر السابق ، ص٦٩ .
(١٠٢)البيروني ، المصدر السابق ، ص٧٥ .
(١٠٣)التيفاشي ، المصدر السابق ، ص١٠٦ .
(١٠٤)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص٢٠ .
(١٠٥)البيهقي ، المصدر السابق ، ص١١٣ .
(١٠٦)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص٣٦ .
(١٠٧)المصدر نفسه .
(١٠٨)المصدر نفسه ، ص٢٠ .